تمس الشعب العربي في كل مكان . كما ان الكاتب يتغاضى عن احداث أيلول وما برهنته من حقائق باتت معروفة للجميع .

وفي مقالة « الحريات المدنية في اسرائيل » ، يلقي الكاتب ألان ديرشويتز الاضواء على الصراعات الاجتماعية داخل المجتمع الاسرائيلي وعلى تزعزع الديموقراطية الاسرائيلية . وينتهي الى هذه النتيجة : « لقد حاولت ان اعرض صورة واضحة عن كيف أن مجتمعا ديموقراطيا مهددا بالخطر من الخارج والداخل يفهم مهمة موازنة مصالح الحرية والامن » (٢٩٨) . ثم يتابع قائلا : « ... ان اسرائيل ، عندما تسجن ١٥،٠٠٠ من مواطنيها العرب الذين يعدون ٣٠٠،٠٠٠ انما تخاطر اليوم مخاطرة جسيمة . » (٢٩٩) وهذا ما يشكل عاملا مساعدا على دفع هذه الصراعات الداخلية الى نقطة تقف فيها الدولة الاسرائيلية «مرتبكة». ليس هذا فحسب ، بل ان اسرائيل ترتبك اكثر من نمو اتجاهات المعارضة داخلها ووجود المنظمات اليسارية التي نقضت ثوريا الاديولوجيا الصهيونية وطرحت حلا للصراع من وجهة نظر مصالح العرب واليهود .

وفي الكتاب مقالة تتناول تاريخ الاستعمار في الوطن العربي منذ العهد التركي والاسباب التي عاقت دون لحاقه بانجازات المجتمع العربي من حيث الصناعة الكبرى ، هي مقالة شلومو افنيري « التحديث والمجتمع العربي » . يقدم افنيري سببين رئيسيين لتخلف المجتمع العربي وبقاء الاشكال العتيقة التاريخية ، هما غياب القاعدة الشعبية الاجتماعية الفعلية والتقوقع الذاتي . يقول : « ظلت القومية العربية سياسة صرف ، تعتمد على التقليد والجيش » (ص ٣١٠) وبعد عدة اسطر يقول : « لم تفشل في استئصال اسرائيل وحسب، بل أيضا في انجاز الوحدة السياسية . فالافكار الاجتماعية ظلت اديولوجيا صرف ، لا دافعا الى الممارسة الاجتماعية . فالطبيعة العسكرية — البيروقراطية للنظام المملوكي القديم قد ظلت على حالها ... » (ص ٣١٠ ، ٣١١) . لا يفسح المجال هنا لبحث العوامل التاريخية العديدة والمعقدة لضعف التصنيع في العالم العربي ، ولكن يكفينا القول هنا ان الكاتب افنيري يجد فيما يقوله مبررا لوجود دولة اسرائيل او بصورة أدق ما يسميه المجتمع الاسرائيلي الصناعي المتقدم . انه يسير حسب قاعدة « البقاء للاكثر تصنيعا » أما الاقل تصنيعا فعليه الخضوع . وحسب المرء ان يذكر مثال فيتنام حتى تتطاير كل هذه الاديولوجيا الصهيونية الاستعمارية التي ترى نفسها معكوسة في مرآة التاريخ الابدي والبقاء الابدي . فالتخلف ليس عائقا امام نضال شعب من الشعوب . بل ان افنيري يطرح حلا عجيبا للمشاكل التي يعانيها المجتمع العربي اليوم ، كما أنه يقدم هذا الحل على انه الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط : يقول : « وما لم تنشأ صهيونية عربية ... فان فرص السلام في الشرق الاوسط هي ضئيلة حقا » (ص ٣١١) نجد هنا بوضوح كيف تصبغ الاديولوجيا الصهيونية كل شيء بصبغتها و« تخضع » كل الشعوب لنمطها ، انها تعتبر نفسها نقطة ثابتة لا مرد لها ، منها تنطلق الاشياء واليها تعود . ان فرص السلام في الشرق الاوسط ليست بيد طرف واحد معين ، بل تحددها عدة اطراف هي مشتركة اساسا في حركة الصراع الجارية امام اعيننا .

يقدم مايكل هارينغتون في مقالته « الامبريالية في الشرق الاوسط » كليشهات جاهزة تناقض الواقع تماما . فهو يقدم لنا الامبريالية بوصفها معارضة لنفسها ومصالحها . يقول : « الاستنتاج الذي سينبثق عن هذا التحليل هو ان الولايات المتحدة، بقدر ما دعمت حق اليهود في تقرير مصيرهم ، هذا الحق الذي يتجلى في دولة اسرائيل ، فانها قد اتبعت سياسة مضادة للامبريالية » . ان رأي الكاتب هنا غير صحيح اطلاقا فالامبريالية لا يمكن ان تعمل ضد مصالحها ، كما أن الدولة الاسرائيلية لا تجسد حق اليهود في تقرير مصيرهم ، بل «حق» الامبريالية في تحويل شعب معين الى جلاد للشعوب الاخرى . وبعد ذلك يعرض هارينغتون اراء لينين وروزا لوكسمبورغ في الامبريالية « كاعلى مراحل الرأسمالية » وكعشية انهيار الامبريالية نفسها . ويخلص هارينغتون من هذا كله الى نتيجة مفادها انه يدعم حق الدولة الاسرائيلية في الوجود والمساعدات الاميركية لها ويقول ان موقفه ازاء الطرفين موقف نقدي .

محمد الكبة